

فى رحاب اهل بيت (ع): زياره القبور

كلمه المجمع

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى اخترنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطي أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التى أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التى ضُيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتنياً خطي أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التى حرصت فى الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام فى خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب فى كلّ عصر.

إنّ التجارب التى تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى هذا المضمار فريدة فى نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمى يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوى الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة فى باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التى أثّرت فى عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استئارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنتفع على الحقائق التى تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، فى عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

والجدير بالذكر إنَّ هذا الأثر (زيارة القبور) قد تمَّ تحريره في الطبقات السابقة بقلم الأخ الشيخ عبدالكريم البههاني، بعدما أعدت في لجنة خاصة من مجموعة الأفاضل.

ونظراً لإكتشاف بعض النواقص فيه، قامت الهيئة العلمية أيضاً بمراجعته ثانية تحت إشراف لجنة الكتاب في المجمع، وبعد التدقيق وحذف وإضافة بعض المطالب، أُعدَّ للطباعة من جديد بقلم الأخ الفاضل محمد العبادي؛ وذلك تنميماً للفائدة.

ومن هنا نشكر كلَّ مَنْ ساهم في هذا الأثر، ونرجو له من العليِّ القدير أجراً وافراً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية - قم المقدسة

زياره القبور

إن ظاهرة زيارة القبور والتسليم عليهم وما يضاهيها من وجوه التعظيم ليست شركاً كما توهمه بعض من يريد الطعن على الشيعة، ولو كان كذلك لكان تعظيم الحيِّ من الشرك أيضاً إذ لا فرق بينه وبين الميت من هذه الجهة ١. كما أنَّ ظاهرة زيارة القبور والاهتمام بالموتى من الظواهر المتكررة في تاريخ المجتمعات البشرية. والمتنبِّع لها سيجد أنها لا تختصَّ بالمجتمع الديني ولا بالمسلمين، بل هي موضع اهتمام المجتمعات على اختلاف مشاربها ومعتقداتها.

إنَّ الميل الذي يدفع بالإنسان نحو احترام الموتى والاهتمام بزيارة القبور إنّما هو ناجم عن وفرة ما تمنحه هذه الظاهرة من معطيات إيجابية على الصعيد الإنساني والاجتماعي، لذا كانت موضع عناية لدى الشعوب.

والشارع المقدس قد لفت نظر المسلمين الى أهمية زيارة القبور فندب إليها في أكثر من موضع، وذلك لتحقيق جملة من الأغراض التربوية التي تعود بالفائدة الى الفرد والمجتمع الإنساني معاً.

وقبل البحث عن مشروعية الزيارة ومدى صلتها بالعقيدة سنتطرق الى معناها اللغوي ثم نلخص بعض فوائدها، وكما يلي:

١ انظر: البيان في تفسير القرآن: ص ٤٧١.

معنى اللغوي

الزيارة في اللغة: هي القصد والملاقات، و(زاره) (زيارة) و (زوراً) بمعنى قصده، فهو زائر ١ .

والزور (الزائر) وهو الذي يزورك يقال: رجل زور، وفي الحديث أن لزورك عليك حقاً، وهو في الأصل مصدر وضع

موضع الاسم، كصوم ونوم، بمعنى صائم ونائم ٢ .

والتزوير: أن يكرم المزور زائره ويعرف له حقّ زيارته ٣ .

والمزار موضع الزيارة.

والمفهوم العرفي للزيارة هو قصد المزور إكراماً له، واستثناساً به ٤ .

١ المصباح المنير: ص ٢٦٠، مادة زور.

٢لسان العرب: ج ٤ ص ٣٣٦، مادة زور؛ تاج العروس: ج ٦ ص ٤٧٧، مادة (زور).

٣لسان العرب: ج ٤ ص ٣٣٥، مادة زور.

٤المصباح المنير: ص ٢٦٠، مادة زور.

الفوائد التربويه لزياره القبور

العبره و الانعاذ:

تشكل زيارة القبور وسيلة للاتعاظ والعبرة، حيث يدرك الزائر للقبور بأن مصيره مهما طال فهو إلى الموت، وهذا الشعور بنفسه يكون رادعاً عن تماديه في حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة لأن في زيارة القبور عبرة.

وأخذ العبرة لا ينحصر في زيارة قبور الصالحين من عباد الله فحسب ، بل نجد القرآن الكريم يرشدنا الى مواطن العبرة حتى بالنسبة للجبابرة والطواغيت عند موتهم، وما آل إليه مصيرهم قال تعالى في ذكره لفرعون : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) ١.

فقد جعل الله تعالى بدن فرعون على نجوة ٢ من الأرض، ينظر إليه الناس هالكا ليكون لهم عبرة يعتبرون به، فينزعجون عن معصية الله والكفر به والسعى في أرضه بالفساد» ٣ .

فشاء الله أن يجعل جسد فرعون الطاغى جثة هامة لا حراك فيها بعد أن ملك القدرات في مختلف أنواعها وظن قومه أنه لا يموت .

فالآية ذات دعوة صريحة لبنى إسرائيل لمشاهدة بدن فرعون وما انتهى إليه من المصير، وينتهى إليه أمثاله.

قال الزمخشري في تفسيره: وإنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره الى ما ترون؛ لعصيانه ربّه عزّ وجلّ، فما الظن بغيره؟ أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك، فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله ٤.

١. يونس: ٩٢.

٢. النجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض. جامع البيان: ج ١١ ص ٢١٣.

٣. جامع البيان: ج ١١ ص ٢١٣.

٤. الكشف، للزمخشري: ج ٢ ص ٣٦٩.

ب) التذكير بالآخرة و الزهد في الدنيا

تساهم زيارة القبور في تعميق الاعتقاد باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الدين، فإذا آمن الإنسان بأن وراءه يوماً يُسئل فيه عمّا فعل وأنه لم يخلق عبثاً، فهذا يجعل الإنسان ذا قصد في فعله فيتجنب فعل الشرّ والإفساد ويتجه نحو فعل الخير. فتكون الزيارة للقبور وسيلة لتربية الإنسان المسلم، كما أنها ترسخ الاعتقاد بالآخرة والكفّ عن الحرص للوصول الى متطلبات الدنيا الفانية، من الطرق غير المشروعة بل يكتفى من مشروعها أيضاً بالأقل ، ولهذه الفائدة أُشير في حديث روى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو: «زوروا القبور فإنّها تذكركم بالآخرة» ١.

١. شفاء السقام: ص ١٠٧ .

ج) تنمية مشاعر الحب و العواطف النبيلة

تؤدي زيارة القبور الى تنمية مشاعر الخير وحبّ الفضيلة، فقد ورد النصّ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): «...»

فزوروها فإنّه يرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرأ»^١.

فالبكاء الناشئ من الحبّ لله ينمّي الصلّة الطّبيّة بين الإنسان الحيّ والإنسان الميّت وصلة الإنسان الفرد بالمجتمع، فيحدث

الوئام والتراحم والتعاطف والمحبة والبرّ بين الناس، فتعطى الحقوق وتؤدي الأمانات.

هذه بعض الفوائد التي تؤديها زيارة القبور حيث تنطوي على آثار تربوية في توجيه سلوك الإنسان الى سبل الخير.

١المستدرک للحاکم: ج ١ ص ٣٧٦ ، کتاب الجنائز.

اقوال العلماء/ئ في جاز زياره القبور

قد أجمع المسلمون قولاً وعملاً على زيارة قبر النبي (صلى الله عليه و آله) ؛ بل استحباب زيارة قبور الأنبياء والصالحين

وسائر المؤمنين، ومشروعيتها ملحق بالضروريات عند المسلمين، فضلاً عن الإجماع وسيرتهم القائمة عليها، وإليك جملة

من أقوال العلماء الناصّة على جواز زيارة القبور؛ بل استحبابها عند عامّة العلماء:

١ - قال السبكي: قال القاضي عياض: زيارة قبره (صلى الله عليه و آله) سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغّب

فيها^١.

٢ - قال السبكي: وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاها النووي ؛ بل قال بعض الظاهرية بوجوبها،

واختلفوا في النساء، وامتناز القبر الشريف بالأدلة الخاصّة به، لهذا أقول: إنّ لا فرق بين الرجال والنساء^٢.

٣ - قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: ولا بأس بزيارة القبور، ولكن لا يقال عندها هجر، وذلك مثل

الدعاء بالويل والثبور والنيابة، فإذا زرت فاستغفر للميت ويرق قلبك ٣.

٤ - يقول الحاكم: قد استقصيت في الحث على زيارة القبور تحريماً للمشاركة في الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنها سنة

مسنونة ٤.

٥ - قال الشيخ زين الدين الشهير (بابن نجيم المصري): ولا بأس بزيارة القبور والدعاء للأموات، وصرح في المجتبى بأنها

مندوبة وقيل: تحرم على النساء، والأصح أن الرخصة ثابتة لهما ٥.

٦ - قال منصور على ناصف: الأمر في زيارة القبور للندب عند الجمهور ٦.

٧ - قال ابن حزم: وتستحب زيارة القبور، وهو فرض ولو مرة، وقد صح عن أم المؤمنين وابن عمر وغيرهما زيارة القبور،

وروى عن عمر النهي عن ذلك ولم يصح ٧.

٨ - قال أبو حامد الغزالي: زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكّر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل

التبرك مع الاعتبار ٨.

٩ - قال عبدالرحمن الجزيري: زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكّر الآخرة وتتأكد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها عند

الحنفية والمالكية، وخالف الحنابلة والشافعية ذلك:

الحنابلة قالوا: لا تتأكد الزيارة في يوم دون يوم.

الشافعية قالوا: تتأكد من عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت، ولهذا قول راجح عند المالكية ٩.

١٠ - مذهب أهل البيت (عليهم السلام): يتأكد استحباب ذلك [زيارة القبور] يوم الاثنين وعصر يوم الخميس، وقبل طلوع الفجر في يوم الجمعة وغداة السبت، تأسيساً بالنبي (صلى الله عليه وآله) ١٠ فإنه كان يخرج في ملأ من الناس من أصحابه كل عشية خميس الى بقيع المدنيين، فيقول: «السلام عليكم يا أهل الديار (ثلاثاً) رحمكم الله (ثلاثاً)» ١١.

أما كيف يزور الشيعة مقابر أئمتهم ؟ وهل الزيارة للأئمة تؤدي الى سوء الأدب المخالف للدين ؟ أو أنها تنمى روح الشرك - معاذ الله - به سبحانه ؟

توجد نماذج متعددة من الزيارات التيوصلت إلينا عن طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، والتي يُراعى فيها المناسبة والشخص الذي يُزار.

والملاحظ لتلك النماذج من الزيارات والمعتمدة منها بشكل خاص سيجدها أنها ذات قيمة في تنمية الاعتقاد بالتوحيد وتأصيله في عقل ونفس الزائر، كما أنها عبادة تساهم في تنمية روح الإيمان بالله سبحانه والإنشاد إليه تعالى.

وإليك نموذجاً واحداً من تلك الزيارات؛ وهي الزيارة المعروفة (بزيارة أمين الله) وهي زيارة حافلة بقوة المعنى وسلامة الفكرة ولغة التوحيد ومحاكاة القلب وتحريك المشاعر، وأنها لوحة خالدة يعتز بها الشيعة الإمامية ويحفظونها عن ظهر قلب ، لما تحمله تلك الزيارة من قيمة في ربط المسلم بالله وبأوليائه سبحانه.

لذا يعتبرها صاحب (مفاتيح الجنان) من الزيارات التي هي في غاية الاعتبار ، أما المجلسي صاحب كتاب (بحار الأنوار) فيقول: إنها من أحسن الزيارات سنداً وامتناً، وهي مروية عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) وقد زار الإمام زين العابدين بها جده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ١٢ . وإليك نص الزيارة:

«السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده [السلام عليك يا أمير المؤمنين] أشهد أنك جاهدت في الله حقَّ جهاده، وعملت بكتابه وأتبع سنن نبيِّه صلى الله عليه وآله حتى دعاك الله الى جواره فقبضك إليه باختياره وألزم أعدائك الحجة مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه.

اللهمّ فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك، مُولعة بذكرك ودعائك، محبة لصفوة أوليائك، محبوبة في أرضك وسمائك، صابرة على نزول بلائك، شاكرة لفواضل نعمائك، ذاكرة لسوايغ آلائك، مشتاقة الى فرحة لقاءك، متزوِّدة التقوى ليوم جزائك، مُستَنَّة بسنن أوليائك، مفارقة لأخلاق أعدائك، مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك .

اللهمّ إنَّ قلوب المختبين إليك والهة، وسبل الراغبين إليك شارعة، وأعلام القاصدين إليك واضحة، وأفئدة العارفين منك فازعة، وأصوات الداعين إليك صاعدة، وأبواب الإجابة لهم مُفتحة، ودعوة من ناجاك مستجابة، وتوبة من أناب إليك مقبولة، وعبرة من بكى من خوفك مرحومة، والإغاثة لمن استغاث بك موجودة، والإعانة لمن استعان بك مبذولة، وعداتك لعبادك منجزة، وزلل من استقالك مقالة، وأعمال العاملين لديك محفوظة، وأرزاقك الى الخلائق من لدنك نازلة، وعوائد المزيد إليهم واصله، وذنوب المستغفرين مغفورة، وحوائج خلقك عندك مقضية، وجوائز السائلين عندك موفّرة، وعوائد المزيد متواترة، وموائد المستطعمين مُعدة، ومناهل الطماء مترعة.

اللهم فاستجب دعائي واقبل ثنائي واجمع بيني وبين أوليائي بحقّ محمدّ وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين، إنَّك ولى نعمائي ومنتهى مُنَاى، وغاية رجائي فى منقلبي ومثواى .

وقد ذُيِّلَت فى كتاب كامل الزيارات بما يلى:

«أنت إلهى وسيدى ومولاى، اغفر لأوليائنا، وكفّ عنا أعداءنا واشغلهم عن أذانا، وأظهر كلمة الحقّ واجعلها الغُليا، وادحض كلمة الباطل واجعلها السفلى، إنَّك على كلِّ شىء قدير ١٣.

١ الشفاء للقاضي عياض: ج ٢ ص ٨٣ .

٢ شفاء السقام للسبكي: ص ٦٩ - ٧٠ .

٣ الأُمّ للشافعي: ج ١ ص ٣١٧ باب القول عند دفن الميت .

٤ مستدرک الحاكم: ج ١ ص ٣٧٧ (ذكر زيارة النبي (صلى الله عليه و آله) .

٥ البحر الرائق في شرح كنز الدقائق: ج ٢ ص ٣٤٢ فصل السلطان أحقّ بصلاته.

٦ التاج الجامع للأصول: ج ١ ص ٣٨١ .

٧ المحلّي: ج ٥ ص ١٦٠، المسألة ٦٠٠ .

٨ إحياء العلوم: ج ٤ ص ٥٢١ .

٩ الفقه على المذاهب الأربعة: ج ١ ص ٥٤٠ خاتمة في زيارة القبور.

١٠ جواهر الكلام ٣:٣٢١ كتاب الطهارة، استحباب زيارة القبور.

١١ كامل الزيارات: ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

١٢ مصباح المتهجد: ص ٧٣٨ - ٧٣٩؛ راجع كتاب مفاتيح الجنان المعرب: ص ٥١٤.

١٣ كامل الزيارات: ص ٩٢ - ٩٤؛ بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ح ٢

تعددت الأدلة على مشروعية زيارة القبور عند المسلمين، واستحبابها لديهم، وفيما يلي تلك الأدلة :

أولاً: الدليل القرآنى على مشروعيه زياره القبور

لقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه و آله) عن الصلاة على جنازة المنافق والقيام على قبره بقوله تعالى:

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) ١ .

قال صاحب تفسير مجمع البيان:

نهى سبحانه نبيه (صلى الله عليه و آله) عن الصلاة عليهم، فقال:

«وَلَا تُصَلِّ» يا محمد «على أحد منهم»، أى: من المنافقين (مات أبداً)، أى: بعد موته فإنه (عليه السلام) كان يصلى عليهم،

ويجرى عليهم أحكام المسلمين «وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» أى: لا تقف على قبره للدعاء فإنه (عليه السلام) كان إذا صلى على

ميّت، يقف على قبره ساعة، ويدعو له، فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين، والوقوف على قبورهم، والدعاء لهم ٢ .

ويستفاد من الآية المذكورة جواز الوقوف على قبور المؤمنين والدعاء لهم والترحم عليهم، لأن النهى فى الآية مختص

بالمنافين، فالآية تعنى بمفهومها جواز زيارة قبور المؤمنين، أى الوقوف على قبورهم والدعاء لهم وإلا لم يبق للاختصاص

بالمنافين فائدة فيكون القيد لغواً ، على أن القيام عند قبور المؤمنين والدعاء لهم، والصلاة عليهم كان من سيرة النبى (صلى

الله عليه و آله) وليس المراد بالقيام هو خصوص القيام عند الدفن حتى لا يشمل القيام للزيارة لعدم الدليل على التقييد

واللفظ مطلق.

ولأن المعنى - بحكم واو العطف - «ولا تقم على قبره أبداً» يعنى جميع الأزمان فيشمل ما بعد الدفن أيضاً ٣ .

فتحصل أنّ الله ينهى نبيه (صلى الله عليه وآله) عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق سواء كان بعد الصلاة أو مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر سواء كان زمن الدفن أو بعده .

ومفهوم ذلك هو أنّ الصلاة والقيام على القبر، يجوزان في حقّ المؤمن، ولا يجوزان في حقّ المنافق.

وعليه يثبت جواز زيارة قبر المؤمن وجواز قراءة القرآن على روحه حتّى بعد مئات السنين ٤ .

١ سورة التوبة: الآية ٨٤ .

٢ تفسير مجمع البيان: ج ٥ ص ١٠٠ ؛ والى هذا المعنى يذهب السمعاني في تفسيره: ج ٢ ص ٣٣٥ وكثير من المفسرين، ولكن الطبري اختار تفسيراً آخر وقال: أى لا تتولّ دفنه.

٣ التوحيد والشرك في القرآن: ص ٢١٣ - ٢٤١ .

٤ انظر زيارة القبور على ضوء الكتاب والسنة : ص ١٢٧.

ثانياً: الدليل الروائي على مشروعيه زياره القبور

أما الروايات التي حثّت على زيارة القبور والدعاء لأهلها أو التقرب الى الله عن طريق الزيارة فهي على طائفتين:

وهذه الطائفة من الروايات حُثَّت على زيارة القبور، ومنها ما يلي:

١ - ما روى عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا ردّ عليه السلام وأنس به، حتى يقوم من عنده»^١.

٢ - ما روى عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «ما من أحد مرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في

الدنيا فسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام»^٢.

٣ - ما روى عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله): كلما كان ليلتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) و

آله) يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنّا إن شاء

الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»^٣.

٤ - وجاء عن بريدة أنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلمهم إذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام

عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»^٤.

١ كنز العمال: ج ١٥ ص ٦٥٦ ح ٤٢٦٠١ قال رواه أبو الشيخ والديلمي ؛ البيان، السيّد الخوئي: ص ٥٢٠ ح ٩ .

٢ الاستذكار، ابن عبد البر: ج ١ ص ١٨٥؛ شفاء السقام: ص ١٩١؛ نيل الأوطار: ج ٣ ص ٣٠٥.

٣ مسند أحمد: ج ٦ ص ٧١؛ صحيح مسلم: ج ٣ ص ٦٣ واللفظ له؛ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٤٩٣ وغيرها من المصادر.

٤مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٥٣ حديث بريدة الأسلمي ؛ صحيح مسلم: ج ٣ ص ٦٥ (باب ما يقال عند دخول القبور - كتاب الجنائز)؛ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٤٩٤ ح ١٥٤٧؛ سنن النسائي: ج ٤ ص ٩٤ (كتاب الجنائز) .

الطائفة الثانية:

تشير هذه الطائفة الى ندية زيارة القبور بعد النهى عنها بالإضافة الى ذكر علّتها وغرض الشارع من سنّة هذه العبادة.

١ - عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»١. قال محمد بن عبد الهادي في حاشية النسائي في شرح قوله (صلى الله عليه و آله) نهيتكم عن زيارة القبور... : أن النهى متوجّه الى النساء، لحرمة خروجهن من بيوتهن بغير الإذن، أو لما في الخروج من لزوم الفساد ٢. ولعلّ النهى متوجّه الى قبور المشركين والكافرين آنذاك.

٢ - زار النبي (صلى الله عليه و آله) قبر أمه فبكى وأبكى من حوله... ثم قال: «استأذنتُ ربّي في أن أزور قبرها، فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»٣.

٣ - وروى أن عائشة قالت: إنّ رسول الله رخص في زيارة القبور ٤.

ويستفاد من هذه الطائفة أنّ النبي (صلى الله عليه و آله) كان قد نهى عن زيارة القبور نهياً مؤقتاً ثم رفع النهى وحبّد زيارة القبور في ما بعد.

ويذكر أنّ العلّة في النهى المؤقت ترجع الى أنّ المسلمين كانوا حديثي عهد بالإسلام، فكانوا ينوحون على قبور موتاهم نياحة باطلة تخرجهم من نطاق الشريعة، ولما تركّز الإسلام في قلوبهم وأنسوا بالشريعة والأحكام الإسلامية وكثرت قبور

المسلمين، ألقى النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك النهي عن زيارة القبور بأمر الله تعالى لما فيها من آثار الحسنة والنتائج الطيبة^٥.

١ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٥٠١ ح ١٥٧١؛ المستدرک للحاکم: ج ١ ص ٣٧٥ كتاب الجنائز.

٢ البراهين الجلية: ص ٧١.

٣ صحيح مسلم: ج ٣ ص ٦٥، باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه؛ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٥٠١ ح ١٥٧٢؛ سنن النسائي: ج ٤ ص ٩٠ كتاب الجنائز - باب الساعات التي نهى عن إقبار الموتى).

٤ سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٥٠٠ ح ١٥٧٠؛ مسند ابن راهويه: ج ٣ ص ٦٥٥ ح ١٢٤٧.

٥ راجع زيارة القبور في الكتاب والسنة : ص ١٢٨.

ثالثاً: الدليل التاريخي

إن المتتبع لسيرة المسلمين في الصدر الأول قبل وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) سيجدها قائمة على زيارة القبور، وإليك جملة من الشواهد التاريخية على ذلك:

- ١ - أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته وقال: أتدرى ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) - فقال: جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم آت الحجر، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: « لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله »^١.

٢ - إن فاطمة (عليها السلام) جاءت الى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتة على عينيها وبكت ٢.

٣ - إن أعرابياً جاء الى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وحثا من ترابه على رأسه، وخاطبه وقال: وكان في ما أنزل عليك: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ...) ٣ وقد ظلمت نفسي وجئتكم تستغفر لي، فنودي من القبر: قد غفر لك. وكان هذا بمحضر من عليّ أمير المؤمنين ٤.

٤ - إن بلالاً أتى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما ٥.

٥ - روى عن عبدالله بن أبي مليكة أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخى عبدالرحمن، فقلت لها: أليس كان نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان قد نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها ٦.

٦ - ويستدل ابن تيمية على شرعية زيارة قبر أبي بكر وعمر بن الخطاب بزيارة ابن عمر لقبريهما، بقوله: السلام على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب من جنس السلام على سائر القبور.

وكان ابن عمر يسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصاحبيه عند قدومه من السفر وكان يقول: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبة، ثم ينصرف ٧. ومن ثم رأى من رأى من العلماء هذا جائزاً اقتداءً بالصحابة رضوان الله عليهم ٨.

إذاً من خلال الرؤية القرآنية والأحاديث الشريفة وسيرة المسلمين، تثبت مشروعية زيارة قبور المؤمنين بشكل عام.

١مسند أحمد: ج ٥ ص ٤٢٢ حديث أبي أيوب؛ المستدرک للحاکم: ج ٤ ص ٥١٥.

٢نظم درر السمطين للزرندي: ١٨١، سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى: ٣٣٧/١٢.

٣النساء: ٦٤ .

٤تفسير الثعلبى: ج ٣ ص ٣٣٩؛ تفسير القرطبى: ج ٥ ص ٢٦٥ - ٢٦٦؛ تفسير البحر المحيط: ج ٢ ص ٢٩٦؛ سبل الهدى

والرشاد: ج ١٢ ص ٣٨١؛ كنز العمال: ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ح ٤٣٢٢.

٥تاريخ مدينة دمشق: ج ٧ ص ١٣٧، ترجمة رقم ٤٩٤؛ أسد الغابة: ج ١ ص ٢٠٨ ترجمة بلال بن رباح؛ سبل الهدى والرشاد:

ج ١٢ ص ٣٥٩.

٦مسند أبي يعلى: ج ٨ ص ٢٨٤ ح ٤٨٧١؛ السنن الكبرى، البيهقى: ج ٤ ص ٧٨ زيارة القبور؛ المستدرک للحاکم: ج ١

ص ٣٧٦ (زيارة النبىِّ (صلى الله عليه و آله)).

٧المصنف للصنعانى: ج ٣ ص ٥٧٦ ح ٦٧٢٤؛ المصنف للكوفى: ج ٣ ص ٢٢٢ باب ١٤٢، ح ١؛ السنن الكبرى، البيهقى: ج ٥

ص ٢٤٥ (باب زيارة قبر النبىِّ (صلى الله عليه و آله)).

٨الجواب الباهر فى زوار المقابر: ص ٦٠ .

رابعاً: زياره قبر النبى (ص)

تدعو الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الى زيارة قبرالرسول (صلى الله عليه و آله) والسؤال عنده، بالإضافة الى إجماع

عامّة المسلمين خلفاً عن سلف من عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) الى يومنا هذا ، ولا يوجد من ينكر زيارة قبر

الرسول (صلى الله عليه و آله) إلاّ الوهابية.

فأما شهادة القرآن الكريم فقد قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) ١.

بهذه الآية يأمر القرآن الكريم المذنبين بأن يحضروا عند رسول الله ويسألوا منه أن يستغفر لهم؛ لأنّ دعاء النبيّ مستجاب فيهم. وقد جرت سيرة المسلمين على زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيّاً وميتاً ولجوئهم إليه عند ظلمهم أنفسهم ليستغفر لهم الله، وقد أشرنا الى قصّة الأعرابي الذي ظلم نفسه فجاء يستغفر الرسول الأكرم بعد موته ٢.

والقرآن الكريم ذكر أنّ الشهداء أحياء بقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ٣. فكيف بالنبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهو سيّد الكائنات، وفخر الوجود.

فالآية من سورة النساء لم تكن خاصة بحياة النبيّ وفترة وجوده بين الناس؛ بل نستخلص منها حكماً عاماً وشاملاً يتعدّى حياة النبيّ (صلى الله عليه وآله)، لأنّ القرآن الكريم يصرّح بحياة الأنبياء والأولياء في الحياة البرزخية ويعتبرهم مبصرين وسامعين في ذلك العالم، بالإضافة الى ورود كثير من الأحاديث الشريفة التي تصرّح بأن الملائكة تبلغ خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) سلاماً من يسلم عليه» ٤.

فقد جاء: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ما من أحد يُسَلِّمُ علىّ إلّا ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام» ٥.

وجاء عنه أيضاً: «صَلُّوا علىّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» ٦.

ويروى أبو سعيد السمعاني عن الإمام علىّ بن أبى طالب (عليه السلام): إنّ أعرابياً جاء بعد ثلاثة أيام من دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثاً من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك،

ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...) ٧ وقد ظلمت نفسي وجئتكم تستغفر
لى الى ربى ٨.

من هنا يجوز للإنسان أن يقف عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته ويسأل منه أن يستغفر الله له، وبهذا
يثبت جواز الزيارة لقبر الرسول (صلى الله عليه وآله) لأن حقيقتها تعنى حضور الزائر عند المزار.

أما الأحاديث التي وردت في الكتب الحديثية حول زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) فكثيرة جداً تقتصر على ذكر
بعض منها:

١ - عن عبدالله بن عمر: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» ٩.

٢ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من جاءني زائراً (لا تحمله) إلا زيارتي، كان حقاً على أن أكون شافعاً له يوم
القيامة» ١٠.

٣ - وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» ١١.

٤ - وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» ١٢.

النساء: ٦٤.

٢ انظر مبحث الدليل التاريخي.

٣ سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

٤انظر: زيارة القبور في الكتاب والسنة: ص ١٢٩ وما بعدها.

٥مسند أحمد: ج ٢ ص ٥٢٧ ما أسند عن أبي هريرة؛ مسند ابن راهويه: ج ١ ص ٤٥٣ ح ٥٢٦؛ سنن أبي داود: ج ١ ص ٤٥٣ ح ٢٠٤١؛ السنن الكبرى، البيهقي: ج ٥ ص ٢٤٥ (باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه و آله)).

٦سنن أبي داود: ج ١ ص ٤٥٣ ح ٢٠٤٢؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢ ص ٨٠؛ إمتاع الأسماع: ج ١٠ ص ٣٠٦؛ كنز العمال: ج ١٥ ص ٣٩١ ح ٤١٥١٢.

٧سورة النساء: الآية ٦٤ .

٨سبل الهدى والرشاد: ج ١٢ ص ٣٨١؛ كنز العمال: ج ٢ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ح ٤٣٢٢.

٩الكامل، ابن عديّ: ج ٦ ص ٣٥١ ترجمة رقم ١٨٣٤ ترجمة موسى بن هلال؛ سنن الدارقطني: ج ٢ ص ٢٤٤ ح ٢٦٦٩؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢ ص ٨٣؛ إمتاع الأسماع: ج ٤ ص ٦١٤؛ سبل الهدى والرشاد: ج ١٢ ص ٢٧٦؛ الدر المنثور: ج ١ ص ٢٣٧.

١٠المعجم الكبير: ج ١٢ ص ٢٢٥ حديث سالم عن ابن عمر؛ ذكر أخبار إصبهان: ج ٢ ص ٢١٩؛ الدر المنثور: ج ١ ص ٢٣٧؛ سبل الهدى والرشاد: ج ١٢ ص ٣٧٩؛ كنز العمال: ج ١٢ ص ٢٥٦ ح ٣٤٩٢٨؛ وذكر صحة الحديث وإسناده الحصني الدمشقي في دفع الشبه عن الرسول (صلى الله عليه و آله) : ص ١٩٤ - ١٩٥.

١١الكامل، ابن عديّ: ج ٧ ص ١٤ ترجمة رقم ١٩٥٦ ترجمة النعمان بن شبل الباهلي؛ الدر المنثور: ج ١ ص ٢٣٧؛ كنز العمال: ج ٥ ص ١٣٥ ح ١٢٣٦٩.

١٢ المعجم الكبير: ج ١٢ ص ٣١٠ حديث مجاهد عن ابن عمر؛ سنن الدارقطني: ج ٢ ص ٢٤٤ ح ٢٦٦٧؛ الدر المنثور: ج ١ ص ٢٣٧؛ سبل الهدى والرشاد: ج ١٢ ص ٣٧٦؛ كنز العمال: ج ٥ ص ١٣٥ ح ١٢٣٦٨.

الوهابية و زياره قرب النبي (ص)

استدل ابن تيمية ومن تبعه ١ في تطرفه على حرمة زيارة قبر النبي (صلى الله عليه و آله) بالحديث المنقول عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

«لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» ٢.

وعلق ابن تيمية على هذا الحديث قائلاً: (هذا الحديث صحيح اتفق الأئمة على صحته والعمل به، فلو نذر الرجل أن يصلى بمسجد أو مشهد أو يعتكف فيه ويسافر إليه غير المساجد الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة) ٣.

لا شك في وجود هذا الحديث في الكتب الحديثية، غير أن استدلال ابن تيمية بُنى على فهم خاطئ لمفاد الحديث.

فالحديث يقول: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...». ومن الثابت أن «إلا» هي أداة الاستثناء ولا بد من وجود

المستثنى منه، ويجب تحديده، وبما أنه مفقود في النص فلا بد من تقديره في الكلام.

وقبل الإشارة إلى القرائن الموجودة يمكن تقدير المستثنى منه في صورتين:

١ - لا تُشدُّ الرحال إلى مسجدٍ من المساجد إلا ثلاثة مساجد...

٢ - لا تُشدُّ الرحال إلى مكان من الأمكنة إلا إلى ثلاثة مساجد...

إن فهم الحديث والوقوف على معناه يتوقف على أحد هذين التقديرين.

فإن اخترنا التقدير الأول كان معنى الحديث عدم شد الرحال الى أى مسجد من المساجد سوى المساجد الثلاثة، ولا يعنى عدم جواز شد الرحال الى أى مكان حتى لو لم يكن مسجداً.

فلا يشمل النهى من يشد الرحال لزيارة الأنبياء والأئمة الطاهرين والصالحين، لأن موضوع البحث هو شد الرحال الى المساجد - باستثناء المساجد الثلاثة المذكورة - وأما شد الرحال الى زيارة المشاهد المشرفة فليس مشمولاً للنهى ولا داخلاً فى موضوعه. هذا على التقدير الأول.

وأما على التقدير الثانى فلازمه أن تكون كافة السفرات المعنوية - ما عدا السفر الى المناطق الثلاث المذكورة - محرمة، سواء كان السفر من أجل زيارة المسجد أو زيارة مناطق أخرى. ولكن القرائن والدلائل تشير الى أن التقدير الأول هو الصحيح، بناءً على صحة سند الحديث واعتباره.

أما القرائن على صحة التقدير الأول فهي كالتى:

أولاً: لأن المساجد الثلاثة هي المستثناة، والإستثناء هنا متصل - كما هو واضح - فلا بد أن يكون المستثنى منه هو المساجد لا المكان ٤.

ثانياً: لو كان الهدف هو منع كافة السفرات المعنوية لما صحّ الحصر فى هذا المقام، لأن الإنسان يشد الرحال فى موسم الحجّ للسفر الى «عرفات» و «المشعر» و «منى» فلو كانت السفرات الدينية - لغير المساجد الثلاثة - محرمة، فلماذا يشد الرحال الى هذه المناطق؟! ألا يكون هذا شاهداً على أن الحديث بهذا النحو منحولٌ على النبى (صلى الله عليه وآله).

ثالثاً: لقد أشار القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الى بعض الأسفار الدينية، وجاء التحريض عليها والترغيب فيها، كالسفر من أجل الجهاد فى سبيل الله وطلب العلم وصلة الرحم وزيارة الوالدين وما شابه ذلك. فمن ذلك قوله تعالى:

(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ٥.

ولهذا فقد فسّر كبار الباحثين والمحققين الحديث المذكور بما أشرنا إليه.

قال الغزالي - في كتابه إحياء العلوم - وهو: أن يسافر لأجل العبادة إما لحجّ أو جهاد.. ويدخل في جملته: زيارة قبور الأنبياء (عليهم السلام)، وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء. وكلّ من يُتبرّك بمشاهدته في حياته يُتبرّك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله (صلى الله عليه وآله): «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» لأنّ ذلك في المساجد، فإنها متماثلة [في الفضيلة] بعد هذه المساجد، وإلاّ فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله ٦.

من هنا.. فإنّ المنهَى عنه - في هذا الحديث - هو شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، من المساجد الأخرى، ولا علاقة له بالسفر إلى المساجد أو البقاع المباركة للزيارة أو لأهداف معنويّة أخرى.

ويدلّ عليه ما رواه صحيح مسلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأتي مسجد قبا راكباً و ماشياً فيصلّي فيه ركعتين ٧.

ولنا أن نتساءل: كيف يمكن أن يكون شدّ الرحال وقطع المسافات من أجل إقامة الصلاة - مخلصاً لله - في بيت من بيوته سبحانه حراماً ومنهياً عنه؟!!

وإذا كانت الصلاة في المسجد مستحبّة فإنّ مقدّمة المستحبّ مستحبّة أيضاً ٨.

ومن هنا لا يلتزم الوهابيون بتحريم زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) بقول مطلق؛ بل نجدهم يعترفون بأصل الزيارة ومشروعيتها، إلا أن السفر لأجلها يعدونه حراماً.

قال محمد بن عبد الوهاب:

تُسن زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أنه لا يُشدّ الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه ٩.

أما ابن تيمية فيقول: وأما قبور الأنبياء والصالحين فلا يستحب إتيانها للصلاة عندها والدعاء عند أحد من أئمة الدين، بل ذلك منهي عنه في الأحاديث الصحيحة، كما ذكر غير واحد من العلماء، ولكن يجوز أن تزار القبور للدعاء لها، كما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يزور أهل البقيع ١٠.

ويقسم ابن تيمية الزيارة الى قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) من حيث نيّة المسافر وقصده، الى ثلاثة أنحاء:

١ - سفر يقصد منه الصلاة في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) فهذا مشروع بالنص والإجماع.

٢ - سفر يقصد منه السفر الى مسجده وقبره (صلى الله عليه وآله) فهذا قد قصد مستحباً مشروعاً بالإجماع.

٣ - سفر لا يقصد منه إلا القبر فهذا مورد النزاع، فمالك والأكثر يحرّمون هذا السفر، وكثير من الذين يحرّمونه لا يجوزون قصر الصلاة فيه، وآخرون يجعلونه سفرأ جائزاً وإن كان غير مستحب ولا واجب النذر ١١.

وبهذا الصدد نجد الحافظ الذهبي يردّ على ابن تيمية بما نصّه:

« فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلماً، مصلياً على نبيّه، فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل

والحبّ، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه،

والمصلي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط. فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرأ.

ولكن من زاره - صلوات الله عليه - وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر أو فعل ما لا يُشرع، فهذا فعل حسنًا وسيئًا فيعلم برفق والله غفور رحيم، فوالله ما يحصل الإنزعاج لمسلمو الصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلا وهو محبٌ لله ولرسوله، فحبّه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار.

فزيارة قبره (صلى الله عليه و آله) من أفضل القرب - وشدّ الرحال الى قبور الأنبياء والأولياء - لئن سلّمنا أنّه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه : «لا تشدّوا الرحال إلاّ الى ثلاثة مساجد...» - فشدّ الرحال الى قبر نبيّنا (صلى الله عليه و آله) مستلزم لشدّ الرحل الى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول الى حجرته إلاّ بعد الدخول الى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد ثم بتحية صاحب المسجد رزقنا الله وإيّاكم ذلك آمين» ١٢.

وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط معلقاً على كلمة الذهبي هذه في سير أعلام النبلاء ما نصّه:

«قصد المؤلف (ره) بهذا الاستطراد الردّ على شيخه ابن تيمية الذى يقول بعدم جواز شد الرحال لزيارة قبر النبيّ (صلى الله عليه و آله) ويرى أنّ على الحاج أن ينوى زيارة المسجد كما هو مبين في محله» ١٣.

١ كمحمّد بن عبد الوهاب فى الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنّية، روى الحديث فى أكثر من صورة.

٢ صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٢٦ (كتاب الحجّ - باب لا تشد الرحال). وذكره أبو داود فى سننه: ج ١ ص ٤٥١ ح ٢٠٣٣؛ وسنن

النسائى: ج ٢ ص ٣٧ (كتاب المساجد) .

٣ ابن تيمية فى الرد على الأحنائى: ص ٢٧ .

٤لو قال قائل: ما جاء إلّا زيد، فالمستثنى منه - فى هذه الجملة - هو: الإنسان أو القوم أو مشابه ذلك، وليس المستثنى منه كلمة عامة كالشيء والموجود، سواء كان إنساناً أو غيره.

٥سورة التوبة: الآية ١٢٢.

٦ إحياء علوم الدين للغزالي: ج ٢ ص ٢٤٧، كتاب آداب السفر .

٧صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٢٧ .

٨راجع الوهابية فى الميزان : ص ١١٠ - ١١٦.

٩الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لمحمد بن عبد الوهاب.

١٠ابن تيمية فى الردّ على الأحنائي، والفتاوى الكبرى لابن تيمية: ج ١ ص ١١٨ - ١٢٢.

١١ابن تيمية فى الرد على الأحنائي: ص ١٦.

١٢سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج ٤ ص ٤٨٤ - ٤٨٥، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، برقم ١٨٥.

١٣سير أعلام النبلاء: ج ٤، هامش ص ٤٨٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط؛ البشارة والاتحاف بما بين ابن تيمية والألبانى فى

العقيدة من الاختلاف: حسن بن على السقاف: ص ٥٥.

خلاصه البحث:

إنّ ظاهرة زيارة القبور لم تقتصر على المجتمع الدينى، بل تشمل كل المجتمعات. والشرية المقدسة قد أقرّتها بل اهتمّت بها. والثابت عن الرسول أنه (صلى الله عليه و آله) كان يزور قبور الموتى كقبر أمه وقبور الموتى فى البقيع .

أما سيرة المسلمين فقد كانت مستمرة على زيارة قبور الموتى من الأنبياء والصالحين من حياة رسول الله وبعد وفاته وحتى يومنا هذا.

ثم إن زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله) فالثابت شرعيتها بالأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة، وأنها لا تختص بحياة الرسول ولا بالدعاء له بل تمتد إلى بعد وفاته ثم سؤاله بشتى الدعوات. ولا يستقيم قول ابن تيمية في تحريمه زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله)، لمخالفته القرآن الكريم والأحاديث النبوية وسيرة المسلمين وإجماع العلماء على استحبابه.

فهرس المصادر:

١ - أسد الغابة لابن الأثير ، على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بـ (ابن الأثير) المتوفى (٦٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت .

٢ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

٣ - الاستذكار، ابن عبد البر، المتوفى (٤٦٣ هـ)، تحقيق سالم محمد عطا - محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (٢٠٠٠م).

٤ - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى (٥٠٥ هـ)، دار المعروفة بيروت.

٥ - إمتاع الأسماع، أحمد بن علي المقرئ المتوفى (٨٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٢٠ هـ).

٦ - البيان في تفسير القرآن ، السيد أبو القاسم الخوئي المتوفى (١٤١٣ هـ)، دار الزهراء (عليها السلام) للطباعة والنشر، بيروت ط ٤ (١٣٩٥ هـ) .

٧ - البراهين الجليّة، السيّد محمّد حسن القزويني الحائري.

٨ - البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، ابن نُجيم المصري المتوفى (٩٧٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٨ هـ).

٩ - بحار الأنوار، العلامة محمّد باقر بن محمّد تقى المجلسي المتوفى (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢ (١٤٠٣ هـ).

١٠ - البشارة والإتحاف، حسن بن علي السقّاف، دار الإمام النووي، عمان، ط ١ (١٤١٣ هـ).

١١ - تاج العروس، السيد مرتضى الزبيدي الحنفي المتوفى (١٢٠٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع (١٤١٤ هـ).

١٢ - تاريخ مدينة دمشق، عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١ هـ)، دار الفكر،

بيروت سنة الطبع (١٤١٥ هـ).

١٣ - تهذيب تاريخ مدينة دمشق (ابن عساكر)، عبدالقادر بدران المتوفى (١٣٤٦ هـ)، بيروت دار إحياء التراث العربي.

١٤ - تفسير التعلبي، أحمد بن محمّد بن إبراهيم التعلبي المتوفى (٤٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ (١٤٢٢ هـ).

هـ).

١٥ - تفسير القرطبي، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى (٦٧١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة الطبع

(١٤٠٥ هـ).

١٦ - تفسير البحر المحيط، أبو حيّان محمّد بن يوسف الأندلسي المتوفى (٧٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١

(١٤٢٢ هـ).

١٧ - تفسير جوامع الجامع، الشسيخ الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١ (١٤٢٠ هـ).

١٨ - تفسير مجمع البيان، الشيخ أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي بيروت ط ١ (١٤١٥ هـ).

١٩ - تفسير السمعاني، السمعاني المتوفى (٤٨٩ هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم - غنيم عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط ١ (١٤١٨ هـ).

٢٠ - التوحيد والشرك في القرآن، الشيخ جعفر السبحاني (معاصر).

٢١ - تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيّب الباقلاني المتوفى (٤٠٣ هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣ (١٤١٤ هـ).

٢٢ - التاج الجامع للأصول، منصور عليّ ناصف المتوفى (١٣٧١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣ - جامع البيان (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ)، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت ط (١٤١٥ هـ).

٢٤ - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسن الجواهرى النجفى المتوفى (١٢٦٦ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٢ (١٣٦٥ ش).

٢٥ - الجواب الباهر في زوَّار المقابر، أحمد بن عبدالحليم الحراني المعروف بابن تيمية المتوفى (٧٢٨ هـ)، طبع في الرياض، سنة الطبع (١٤٠٤ هـ).

٢٦ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، دار المعرفة - بيروت .

٢٧ - الدرر السنية، أحمد بن زيني دحلان المتوفى (١٣٠٤ هـ)، مكتبة أيشيق، اسطنبول، ط ١ (١٣٩٦ هـ).

٢٨ - دفع الشبة عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، أبو بكر بن محمد تقى الدين الحصنى الدمشقى المتوفى (٨٢٩ هـ)، دار إحياء الكتاب العربى، القاهرة، ط ٢ (١٤١٨ هـ).

٢٩ - ذكر أخبار إصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني المتوفى (٤٣٠ هـ)، بيزل - ليدن المحروسه، سنة الطبع (١٩٣٤م).

٣٠ - الرد على الأخنائي، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني المتوفى (٧٢٨ هـ)، طبع فى الرياض سنة الطبع (١٤٠٤ هـ)، وطبع المكتبة السلفية بالقاهرة.

٣١ - رسائل الهدية السنية، محمد بن عبد الوهاب المتوفى (١٢٠٦ هـ).

٣٢ - سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩ (١٤١٣ هـ).

٣٣ - سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشامى المتوفى (٩٤٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٤ هـ).

٣٤ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى المتوفى (٢٧٣ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٥ - سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، دار الفكر - بيروت ط ١ (١٣٤٨ هـ).

٣٦ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى (٤٥٨ هـ)، دار الفكر - بيروت .

٣٧ - سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى (٢٧٥ هـ)، دار الفكر - بيروت ط ١ (١٤١٠ هـ).

٣٨ - سنن أبى داود الطيالسى، سليمان بن داود الطيالسى المتوفى (٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٣٩ - سنن الدار القطنى ، علىّ بن عمر الدارقطنى المتوفى (٣٨٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ (١٤١٧ هـ).

٤٠ - الشفا بتعريف المصطفى، أبو الفضل عياض اليعصبى المتوفى (٥٤٤ هـ)، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع (١٤٠٩ هـ).

٤١ - شفاء السقام فى زيارة خير الأنام، علىّ بن عبدالكافى بن علىّ السبكى المتوفى (٧٥٦ هـ)، إيشق كتبوى - إسلامبول، ط ٢ (١٣١٨ هـ).

٤٢ - صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى المتوفى (٢٥٦ هـ)، دار الفكر - بيروت ط سنة (١٤٠١ هـ).

٤٣ - صحيح ابن حبان، ابن حبان المتوفى (٣٥٤ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ (١٤١٤ هـ).

٤٤ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشبرى النيسابورى المتوفى (٢٦١ هـ)، دار الفكر - بيروت .

٤٥ - الفتاوى الكبرى، أحمد عبدالحليم ابن تيمية الحرانى المتوفى (٧٢٨ هـ).

٤٦ - الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن بن محمد عوض الجزيرى المتوفى (١٣٦٠ هـ)، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٤٧ - كشف الإرتياب، السيّد محسن الأمين المتوفى (١٣٧١ هـ)، مكتبة الحرمين، قم، ط (١٣٨٢ هـ).

٤٨ - كنز العمال ، علىّ المتقى بن حسام الدين الهندى المتوفى (٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت ط (١٤٠٩ هـ).

٤٩ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى (٣٦٧ هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومى، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، ط ١ (١٤١٧ هـ).

٥٠ - الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ) ،

مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر وشركاءهم، سنة الطبع سنة (١٣٨٥) هـ .

٥١ - الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدى بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني المتوفى (٣٦٥ هـ)، دار الفكر،

بيروت، ط ٣ (١٤٠٩ هـ) .

٥٢ - لسان العرب، ابن منظور الأفرقي المتوفى (٧١١ هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، ط (١٤٠٥ هـ) .

٥٣ - مسند أحمد ، أحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١ هـ) ، دار صادر - بيروت .

٥٤ - المحلى، على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى (٤٥٦ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٥ - مفاتيح الجنان، عباس بن محمد رضا القمي المتوفى (١٣٥٩ هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، قم، ط ١

(١٤٢٧ هـ) .

٥٦ - مسند بن راهويه، إسحاق بن راهويه المتوفى (٢٣٨ هـ)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط ١ (١٤١٢ هـ) .

٥٧ - مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي أبي يعلى الموصلي المتوفى (٣٠٧ هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق،

ط ١ (١٤٠٨ هـ) .

٥٨ - المصنف ، عبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى (٢١١ هـ) ، منشورات المجلس العلمي .

٥٩ - المصنف، عبدالله بن محمد بن أبي شيبه المتوفى (٢٣٥ هـ)، دار الفكر، بيروت ط ١ (١٤٠٩ هـ) .

٦٠ - مصباح المتهجد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ط ١ (١٤١١ هـ) .

٦١ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٥٣٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربى، بيروت .

٦٢ - المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى (٤٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٣ - المصباح المنير، أحمد بن محمد بن عليّ الفيومي المتوفى (٧٧٠ هـ)، دار الهجرة، إيران، سنة الطبع (١٤٠٥ هـ).

٦٤ - نيل الأوطار، الشوكاني المتوفى (١٢٥٥ هـ)، دار الجيل، بيروت، سنة الطبع (١٩٧٣م).

٦٥ - نظم درر السمطين، محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندى الحنفى المتوفى (٧٥٠ هـ)، مكتبة أمير المؤمنين

(عليه السلام)، ط ١ (١٣٧٧ هـ).

٦٦ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملى المتوفى (١١٠٤ هـ)، مؤسسة آل البيت

(عليهم السلام) - قم ط ٢ (١٤١٤ هـ) .

٦٧ - الوهابية فى الميزان، الشيخ جعفر السبحانى (معاصر)، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ط ٣ (١٤٢٧ هـ).
